

العدل في العقائد عند ابن تيمية تقريرات وتطبيقات

ورقة بحث مقدمة للمؤتمر العالمي الرابع للدراسات القرآنية وتدبر القرآن الكريم في
أوروبا بعنوان: (مؤتمر العدل والإحسان في القرآن الكريم والسنة النبوية)

بتاريخ ١٠-١٢ / ١٠ / ١٤٣٧ هـ

الموافق ١٥-١٧ / ٧ / ٢٠١٦ م

إعداد:

د. إبراهيم بن عبدالله المعثم

الأستاذ المشارك بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة القصيم

المملكة العربية السعودية

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فالعدل من صفات الله سبحانه وتعالى، فهو الحكم العدل الذي يحكم بين عباده في الدنيا والآخرة بعدله وقسطه، وقد نزه نفسه سبحانه عن مضاد العدل وهو الظلم فقال: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف: ٤٩]، كما أمر تعالى بالعدل فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [سورة النحل: ٩٠]، والعدل في جانب العقائد من أعظم ما يجب فيه العدل، فقد أمر سبحانه بالعدل مع من نبغضهم فقال: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ءَاعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [سورة المائدة: ٨]، «وإذا كان من يقضي بين الناس في الأموال والدماء والأعراض، إذا لم يكن عالماً عادلاً كان في النار، فكيف بمن يحكم في الملل، والأديان، وأصول الإيمان، والمعارف الإلهية، والمعالم الكلية بلا علم، ولا عدل!»^(١)، ومن أبرز من تميز بتقرير وتطبيق وتحقيق هذا العدل: شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ت (٧٢٨) هـ حتى قال بعض أصحابه الأكابر: «وددتُ أني لأصحابي مثله لأعدائه وخصومه»^(٢)، من شدة إنصافه وعدله وإحسانه مع خصومه، مما جعلني أختار موضوع العدل عند ابن تيمية موضوعاً أقدم به إلى مؤتمر العدل والإحسان في القرآن الكريم والسنة النبوية، ضمن المحور الثاني: العدل والإحسان في العقائد، وعنوانه بـ(العدل في العقائد عند ابن تيمية تقريرات وتطبيقات)، وأسأل الله تعالى التوفيق والسداد.

أهمية البحث:

- ١- عظم منزلة العدل، وأهميته، وكونه من أبرز خصائص أهل السنة والجماعة في التعامل مع مخالفهم .
- ٢- أهمية تقريرات شيخ الإسلام ابن تيمية المتعلقة بالعدل في العقائد.
- ٣- تميز تطبيقات شيخ الإسلام ابن تيمية لجانب العدل في العقائد.

أهداف البحث:

- ١- بيان معنى العدل وأهميته بصفة عامة، وفي جانب العقائد بصفة خاصة.
- ٢- إبراز منهج السلف الصالح في العدل في العقائد.
- ٣- معرفة تقريرات ابن تيمية لمسألة العدل في العقائد.

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١٠٨/١).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣٢٨/٢).

٤- إظهار ما تميز به ابن تيمية من تطبيقات وممارسات للعدل في جانب العقائد.

خطة البحث:

قسمتُ البحث إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة، ثم ذيلته بفهرسين أحدهما للمصادر والمراجع والآخر للموضوعات

كما يلي:

أولاً: المقدمة، وتشمل ما يلي:

- أولاً: أهمية البحث.

- ثانياً: أهداف البحث.

- ثالثاً: خطة البحث.

ثانياً: التمهيد، ويشمل ما يلي:

- أولاً: تعريف العدل لغة واصطلاحاً.

- ثانياً: أهمية العدل ومنزلته.

- ثالثاً: ترجمة موجزة لابن تيمية.

المبحث الأول: تقارير ابن تيمية للعدل في العقائد.

المبحث الثاني: تطبيقات ابن تيمية للعدل في العقائد.

- الخاتمة، وتشمل أهم نتائج البحث.

- فهرس المصادر والمراجع.

- فهرس الموضوعات.

التمهيد

أولاً: تعريف العدل لغة واصطلاحاً

يطلق العَدْلُ في اللغة^(١) على معنيين:

الأول: يدل على الاستواء، ومنه العدل بمعنى الحكم بالاستواء، يقال: عَدَلَ في القضية إذا حكم بالعدل والحق، وضده الجور.

الثاني: يقال في الاعوجاج، فإذا قالوا يُنْعَدِلُ في مكان كذا أرادوا الاعوجاج، ويقال: عَدَلَ وانعدل، أي انعرج،

ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَّ أَنْ تَعْدِلُوا﴾ [سورة النساء: ١٣٥] بمعنى أن تميلوا في قول أكثر المفسرين^(٢). والمراد هنا هو المعنى الأول.

ومن مرادفات كلمة (العدل): الإنصاف والقسط، وبينها وبين العدل فروق دقيقة ذكرها أبو هلال العسكري في الفروق اللغوية^(٣).

وفي الاصطلاح تنوعت عبارات العلماء في تعريفه:

فعرّفه سفيان بن عيينة فقال: «العدل هو الإنصاف»^(٤)، «وقال بعضهم: العدل: هو القسط في الحق»^(٥)،

وقيل: «هو محافظة الشيء على الحد الذي جعل له، ووضعه موضعه»^(٦)، وقال ابن عقيل الحنبلي: «والعدل: هو الاستقامة في الفعل، وقيل: هو العدول إلى الحق، وقيل: هو الوضع للشيء في حقه»^(٧).

وبعض العلماء اتجه في بيان معنى العدل إلى ذكر صفات العادل، ومن ذلك ما أخرجه ابن أبي حاتم وابن عساكر وغيرهما «عن محمد بن كعب القرظي قال: قال لي عمر بن عبد العزيز: صف لي العدل، قلت: بخٍ بخٍ، سألت عن أمر جسيم، كن لصغير الناس أباً، ولكبيرهم ابناً، وللمثل منهم أخاً، وللنساء كذلك، وعاقب الناس بقدر ذنوبهم على قدر

(١) انظر: العين (٢/٣٨-٤٠)، والصحاح (٥/١٧٦٠)، ومعجم مقاييس اللغة (٤/٢٤٦).

(٢) انظر: التفسير البسيط (٧/١٤٢).

(٣) انظر: الفروق اللغوية (٢٣٤).

(٤) أخرجه ابن عبد البر بسنده عن سفيان بن عيينة في بهجة المجالس وأنس المجالس (٢/٦٤٦).

(٥) تفسير الطبري (٨/٧١٠).

(٦) تأويلات أهل السنة (٦/٩).

(٧) الواضح في أصول الفقه (١/١٥٠).

أجسامهم، ولا تضربن بغضبك أحداً سوطاً واحداً فتعدى فتكون من العادين»^(١)، وقال ابن عطية: «والعدل هو فعل كل مفروض من عقائد وشرائع وسير مع الناس في أداء الأمانات، وترك الظلم، والإنصاف وإعطاء الحق»^(٢).
 وأما ابن تيمية فعرفه بأنه: «وضع كل شيء في موضعه، كما أن الظلم وضع الشيء في غير موضعه»^(٣)، وذكر بعض مظاهره فبين أنه يقتضي ألا يفرق بين المتماثلين، ولا يُسوَّى بين المختلفين، وألا يُعاقب إلا من يستحق العقوبة^(٤).
 ومما يجب التنبيه له أن مصطلح (العدل) قد يرد في كتب العقائد، وهو أحد أصول المعتزلة الخمسة، ويريدون به التكذيب بالقدر، وإنكار خلق الله تعالى لأفعال العباد، وإرادته للكائنات، ومصطلح (العدل) بهذا المعنى ليس مراداً هنا.

ثانياً: أهمية العدل ومنزلته

للعدل منزلة كبرى، وأهمية عظمى، فقد أمر الله تعالى به في جميع الأعمال وفي جميع الأحوال، كما نهى عن الظلم مطلقاً، ويتبين هذا من خلال النظر في نصوص الكتاب والسنة الدالة على ذلك، وقد دلت على أهمية العدل من عدة وجوه:

١- أمر الله سبحانه بالعدل في عدد من الآيات، ومنها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا نَبِيرًا﴾ [سورة النساء: ٥٨]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل: ٩٠]، فأوجب الله العدل لكل أحد على كل أحد في كل حال وفي كل شيء^(٥)، «ومن أعظم العدل العدل في الأمور الدينية؛ فإن العدل في أمر الدنيا من الدماء والأموال كالقصاص والموارث وإن كان واجباً وتركه ظلم فالعدل في أمر الدين أعظم منه»^(٦)، وأعظم الأمور المتعلقة بالدين التي يجب فيها العدل أمور العقائد والإيمان^(٧).

٢- تأكيد الله تعالى على التزام العدل في أوقات قد يزيغ فيها الإنسان ويجانب العدل، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا

الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٢٩٩/٧)، وابن عساکر في تاريخ دمشق (١٤٨/٥٥).

(٢) المحرر الوجيز (٤١٦/٣).

(٣) الاستقامة (٤٦٤/١) وانظر: جامع الرسائل (١٢٣/١).

(٤) انظر: جامع الرسائل (١٢٤/١)، وجامع المسائل (٢٣١/٦).

(٥) انظر: الرد على المنطقيين (٤٢٥)، والفتاوى الكبرى (٢٢٣/٤).

(٦) مجموع الفتاوى (٢٥١/٢٤).

(٧) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١٠٨/١).

أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿ [سورة المائدة: ٨]، وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَيَعْهَدِ اللَّهُ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّانِكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿ [سورة الأنعام: ١٥٢]، وقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدُوا ﴿ [سورة النساء: ١٣٥]، «فنهى أن يحمل المؤمنین بغضهم للكفار على ألا يعدلوا عليهم فكيف إذا كان البغض لفاسق أو مبتدع متأول من أهل الإيمان فهو أولى أن يجب عليه ألا يحملة ذلك على ألا يعدل على مؤمن وإن كان ظالماً له، فهذا موضع عظيم المنفعة في الدين والدنيا فإن الشيطان موكل ببني آدم وهو يعرض للجميع، ولا يسلم أحد من مثل هذه الأمور، دع ما سواها من نوع تقصير في مأمور أو فعل محظور باجتهاد أو غير اجتهاد وإن كان هو الحق» (١).

٣- نهى الله تعالى عن الظلم نهيًا عاماً مطلقاً يشمل جميع أنواع الظلم، فعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: ((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا)) (٢)، وهذا خطاب عام لجميع العباد بأن لا يظلم أحدٌ أحداً، وأمر لهم بالعدل في كل شيء (٣).

٤- ومن النظر فإن «العدل مما اتفق أهل الأرض على مدحه ومحبته، والثناء على أهله ومحبتهم، والظلم مما اتفقوا على بغضه وذمه وتقيحه، وذم أهله وبغضهم... العدل محمود محبوب باتفاق أهل الأرض، وهو محبوب في النفوس، مركز حبه في القلوب، تحبه القلوب وتحمده، وهو من المعروف الذي تعرفه القلوب، والظلم من المنكر الذي تنكره القلوب فتبغضه وتذمه» (٤).

كما أن «أمور الناس إنما تستقيم في الدنيا مع العدل... ولهذا قيل إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة، ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام... وذلك أن العدل نظام كل شيء فإذا أقيم أمر الدنيا بالعدل قامت وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق» (٥).

٥- «أن كل خير فهو داخل في القسط والعدل وكل شر فهو داخل في الظلم، ولهذا كان العدل أمراً واجباً في كل شيء وعلى كل أحد والظلم محرماً في كل شيء ولكل أحد فلا يحل ظلم أحد أصلاً سواء كان مسلماً أو كافراً أو كان ظالماً» (٦).

(١) الاستقامة (١/٣٨).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم ح (٢٥٧٧).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٦٧/١٨)، والرد على المنطقيين (٤٢٥).

(٤) منهاج السنة النبوية (١٢٧/٥).

(٥) الاستقامة (٢/٢٤٦-٢٤٧).

(٦) مجموع الفتاوى (١٦٦/١٨).

٦- أن الدين الإسلامي قائم على أمرين هما: العلم والعدل، وهما طريق الأنبياء وأتباعهم^(١)، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [سورة الحديد: ٢٥]، وكل من حاد عن هذا الطريق فسوف يقع حتماً في الجهل والظلم، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٢] «فالإنسان خلق ظلوماً جهولاً، فالأصل فيه عدم العلم وميله إلى ما يهواه من الشر، فيحتاج دائماً إلى علم مفصل يزول به جهله، وعدل في محبته وبغضه ورضاه وغضبه وفعله وتركه وإعطائه ومنعه وكل ما يقوله ويعمله يحتاج فيه إلى عدل ينافي ظلمه، فإن لم يمن الله عليه بالعلم المفصل والعدل المفصل وإلا كان فيه من الجهل والظلم ما يخرج به عن الصراط المستقيم»^(٢).

ثالثاً: ترجمة موجزة لابن تيمية

أ- اسمه، ونسبه، ونشأته:

أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، يلقب بـ(تقي الدين)، ويكنى بأبي العباس. ولد في ربيع الأول سنة ٦٦١هـ بحرّان، وهي بلدة مشهورة في الجزيرة بين الشام والعراق، وليست هي التي بقرب دمشق، ولا التي في تركيا ولا التي بقرب حلب، ثم انتقل منها -وهو صغير- مع والده وأسرته إلى الشام هرباً من غزو التتار سنة ٦٦٧هـ، وكانت نشأته في بيت علم وفضل، فوالده وجدته كلاهما من العلماء.

ب- طلبه للعلم، وشيوخه وتلاميذه:

حفظ القرآن الكريم وهو صغير، ثم انشغل بحفظ الحديث والفقهِ والعربية وغيرها من العلوم آخذاً العلم عن عدد كبير من العلماء، حتى ذكر ابن عبد الهادي أنه أخذ عن أكثر من (٢٠٠) شيخ^(٣)، ومن أبرزهم والده عبدالسلام، والزين بن عبد الدائم، والقاسم الإريلي، والمسلم بن علان، وعبدالرحمن بن أبي عمر، وغيرهم كثير. وقد برز ابن تيمية وذاع صيته وهو صغير، فقد بدأ بالتأليف والإفتاء وله تسع عشرة سنة، ودرّس في مكان والده -بعد وفاته- وعمره إحدى وعشرون سنة، واشتهر أمره حتى تلقى العلم عنه عدد كبير من التلاميذ، من أبرزهم: ابن عبدالهادي، وابن قيم الجوزية، والذهبي، وابن مفلح، وابن كثير، والبزار، والطوفي.

(١) انظر: الجواب الصحيح (١/١٠٥)، ومنهاج السنة النبوية (٦/٥٦).

(٢) جامع الرسائل (١/١٠٠).

(٣) انظر: العقود الدرية (١٩، ٣٩).

ج- مكانته العلمية:

يكفي في بيان منزلته قول ابن سيد الناس اليعمرى: «ألفيته ممن أدرك من العلوم حظاً، وكاد يستوعب السنن والآثار حفظاً، إن تكلم في التفسير فهو حامل رايته، وإن أفتى في الفقه فهو مدرك غايته، أو ذاكراً بالحديث فهو صاحب علمه وذو رايته، أو حاضر بالنحل والملل لم يُرَ أوسع من نخلته، ولا أرفع من درايته، برز في كل فن على أبناء جنسه، ولم تر عين من رآه مثله، ولا رأت عينه مثل نفسه»^(١)، ونقل ابن حجر أنه «كان يتكلم على المنبر على طريقة المفسرين مع الفقه والحديث فيورد في ساعة من الكتاب والسنة واللغة والنظر ما لا يقدر أحد على أن يورده في عدة مجالس، كأن هذه العلوم بين عينيه يأخذ منها ما يشاء ويذر»^(٢).

د- أبرز مؤلفاته:

تنوعت مؤلفاته شيخ الإسلام ابن تيمية في عدد من العلوم، وبلغت عدداً كثيراً مما يجعل من الصعب حصرها، حتى قال أبو حفص البزار: «وأما مؤلفاته ومصنفاته، فإنها أكثر من أن أقدر على إحصائها أو يحضرنى جملة أسمائها، بل هذا لا يقدر عليه غالباً أحد؛ لأنها كثيرة جداً كباراً وصغاراً وهي منشورة في البلدان فقلّ بلد نزلته إلا ورأيت فيه من تصانيفه»^(٣)، ومن أبرزها مؤلفاته المطبوعة في العقائد ما يلي:

١. الاستغاثة في الرد على البكري.

٢. الاستقامة.

٣. اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم.

٤. الإيمان الأوسط.

٥. الإيمان الكبير.

٦. بغية المرتاد.

٧. بيان تلبيس الجهمية.

٨. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح.

٩. درء تعارض العقل والنقل.

١٠. الرد على المنطقيين.

١١. شرح العقيدة الأصفهانية.

١٢. شرح حديث النزول.

(١) العقود الدرية (٢٥-٢٦).

(٢) الدرر الكامنة (١/١٧٩).

(٣) الأعلام العلية (٢٣).

١٣. الصفدية.
١٤. العقيدة التدمرية.
١٥. العقيدة الحموية.
١٦. العقيدة الواسطية.
١٧. قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة.
١٨. منهاج السنة النبوية في نقض الشيعة والقدرية.
١٩. النبوات.

هـ- وفاته:

توفي شيخ الإسلام في شهر ذي القعدة من سنة ٧٢٨هـ في مكان حبسه بقلعة دمشق^(١).

(١) للتوسع في ترجمة ابن تيمية رحمه الله ينظر كتاب: الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون، لمحمد عزيز شمس وعلي العمران.

المبحث الأول: تقريرات ابن تيمية للعدل في العقائد

هذا المبحث يمثل الجانب التأصيلي النظري الذي بيّن فيه ابن تيمية قضية العدل في العقائد من خلال كلامه وتقريراته، وعند التأمل في تقريرات ابن تيمية للعدل في العقائد نجد أنه يمكن تقسيمها إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: العدل باعتباره صفة من صفات الله تعالى

نقل ابن تيمية اتفاق المسلمين وغيرهم على تنزيه الله تعالى عن الظلم^(١)، فهو سبحانه لا يظلم مثقال ذرة، وهذا يستلزم وصفه سبحانه وتعالى بكمال العدل.

وقد استدلل لوصف الله تعالى بكمال العدل بعدة أدلة:

١- قوله سبحانه: قوله تعالى ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [سورة آل عمران: ١٨٢]^(٢)، وقوله سبحانه: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [سورة فصلت: ٤٦]، وقوله تعالى: ﴿مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَىٰ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [سورة ق: ٢٩] فهو «سبحانه الفعال لما يريد، ذو الحكمة البالغة، والعدل الشامل، والفضل الذي يختص به»^(٣)، وهذه الآيات تستلزم ثبوت العدل لله تعالى^(٤).

ومثله هذا في القرآن ما ورد - في غير موضع - أن الله ينتصف من العباد، ويقضي بينهم بالعدل، وأن القضاء بينهم بغير العدل ظلم يُنزه الله عنه، وأنه لا يحمل على أحد ذنب غيره، ولا يبخس عامل عمله^(٥)، يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ [سورة هود: ١٠١]، وقوله سبحانه: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [سورة يونس: ٤٧]، وقوله تعالى: ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا نُزِرُ وَأَنْزِرُ وَزُرْ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [سورة الإسراء: ١٥]، وقد ثبت في الصحيح من حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: ((يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا))^(٦).

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٥٠٥/٨).

(٢) وردت هذه الآية بهذا النص في موضعين آخرين من القرآن الكريم، في سورة الأنفال الآية رقم: (٥١)، وفي سورة الحج الآية رقم: (١٠).

(٣) درء تعارض العقل والنقل (٥٢٠/٨).

(٤) انظر: شرح العقيدة الأصفهانية (١٣٥).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (١٧٥/١٧) (١٤٣/١٨)، ومنهاج السنة النبوية (١٣٦/١)، والفتاوى الكبرى (٨٢/١).

(٦) سبق تخريجه.

فالظلم «الذي حرمه الله على نفسه، مثل أن يترك حسنات المحسن فلا يجزيه بها، ويعاقب البريء على ما لم يفعل من السيئات، ويعاقب هذا بذنب غيره، أو يحكم بين الناس بغير القسط، ونحو ذلك من الأفعال التي يتنزه الرب عنها، لقسطه وعدله، وهو قادر عليها، وإنما استحق الحمد والثناء؛ لأنه ترك هذا الظلم وهو قادر عليه، وكما أن الله منزّه عن صفات النقص والعيب، فهو أيضاً منزّه عن أفعال النقص والعيب»^(١).

٢- قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة آل عمران: ١٨] «فله الوحدانية في إلهيته، وله العدل وله العزة والحكمة، وهذه الأربعة إنما يثبتها السلف وأتباعهم... والجهمي الجبري: لا يثبت عدلاً ولا حكمة، ولا توحيد إلهيته، بل توحيد ربوبيته، والمعتزلي لا يثبت توحيد إلهيته، ولا عدلاً ولا عزة ولا حكمة»^(٢).

٣- قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة الأنعام: ١١٥]، فقيامه تعالى بالقسط يتضمن أنه يقول الصدق ويعمل بالعدل، فهو سبحانه الصادق العدل، المسمى بأسمائه الحسنى، المنعوت بصفاته العلى، الصادق العدل في كلماته التامات صدقاً وعدلاً^(٣).

٤- قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [سورة هود: ٥٦] فأخبر أن الله على صراط مستقيم، وهو العدل الذي لا عوج فيه، فإنه سبحانه عالم عادل قادر يأمر بالعدل وهو قائم بالقسط على صراط مستقيم^(٤).

المطلب الثاني: العدل باعتباره حق الله على العباد

قرر ابن تيمية أن أصل العدل هو العدل في حق الله تعالى، وهو عبادته وحده لا شريك له، فإن الشرك هو أظلم الظلم، والشرك بالله تعالى فساد لأصل العدل^(٥)، «فإن رأس العدل عبادة الله وحده لا شريك له، كما أن رأس الظلم هو الشرك، إذ كان الظلم وضع الشيء في غير موضعه، ولا أظلم ممن وضع العبادة في غير موضعها فعبد غير الله، فعبادة الله أصل العدل والاستقامة»^(٦) من جهتين: من جهة أن العبادة حق للخالق وحق الخالق أعظم من حق المخلوقين، ومن جهة أخرى أنه سبحانه أعدل الحاكمين سبحانه^(٧).

(١) الفتاوى الكبرى (١/٨٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٨/٢١١).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٤/١٧٧) (١٦/٢٤٥)، ودرء تعارض العقل والنقل (٦/٢٩٤).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/١١٦) (١٤/١٧٧).

(٥) انظر: الجواب الصحيح (١/١٠٦) (٦/٣٣)، وجامع المسائل (٦/٢٣١)، مجموع الفتاوى (١/٨٧) (١٨/١٦١).

(٦) جامع المسائل (٥/١٦٣).

(٧) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٥/٤٢٥).

واستدل لهذا التقرير بعدة أدلة: منها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۗ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة لقمان: ١٣]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [سورة الأعراف: ٢٩]، وقوله سبحانه: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾ [سورة آل عمران: ٦٤]، وفي الصحيحين من حديث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ((سألت النبي صلى الله عليه وسلم: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك))^(١).

وذكر ابن تيمية من تطبيقات هذا العدل: توسط أمة محمد صلى الله عليه وسلم في إثبات صفات الله تعالى، قال ابن تيمية: «وأما أمة محمد صلى الله عليه وسلم فإن الله هداهم لما اختلف فيه الأمم قبلهم من الحق بإذنه، وهذا بينٌ فإنهم على الحق والعدل الوسط بين طرفي الباطل، وهذا ظاهر في اتباعهم الحق الذي اختلفت فيه اليهود والنصارى في التوحيد والأنبياء والأخبار والتشريع والنسخ والحلال والحرام والتصديق والتكذيب وغير ذلك. أما التوحيد فإن اليهود شبهوا الخالق بال مخلوق فوصفوا الرب سبحانه بصفات النقص الذي يختص بها المخلوق، فقالوا: إن الله فقير وبخيل، وأنه يتعب وغير ذلك، والنصارى وصفوا المخلوق بصفات الخالق صفات الكمال الذي يختص بها الخالق، فقالوا: عن المسيح أنه خالق السماوات والأرض القاسم الأزلي علام الغيوب القادر على كل شيء ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرَهْبَتَهُمْ أَرْكَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [سورة التوبة: ٣١] الآية، والمسلمون هداهم الله لما اختلفوا فيه من الحق فلم يشبهوا الخالق بالمخلوق ولا المخلوق بالخالق، بل أثبتوا لله ما يستحقه من صفات الكمال، ونزهوه عن النقائص وأقروا بأنه أحد ليس كمثله شيء وليس له كفوا أحد في شيء من صفات الكمال فنزهوه عن النقائص خلافا لليهود، وعن مماثلة المخلوق له خلافا للنصارى»^(٢).

المطلب الثالث: العدل مع المخلوقين

يمكن بيان كلام ابن تيمية في جانب العدل مع المخلوقين من خلال عدة نقاط:

١- وجوب العدل مع جميع الخلق، فهو واجب لكل أحد على كل أحد في كل حال^(٣)، سواءً كانوا مسلمين أم كفار، ظالمين أو غير ظالمين^(٤)، لقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُوفُوا قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب وما ذكر في خلق أفعال العباد وأكسبهم ح(٧٠٨٢)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب كون الشرك أفحح الذنوب وبيان أعظمها بعده ح(٨٦).

(٢) الجواب الصحيح (٢/٢٦٠-٢٦١)

(٣) انظر: الصفدية (٢/٣٢٧)، ومجموع الفتاوى (٣٠/٣٣٩)، ومنهاج السنة النبوية (٥/١٢٦) (٨/٥٠٠).

(٤) انظر: الفتاوى الكبرى (١/٩٧)، ومجموع الفتاوى (١٨/١٦٦) (٢٨/٣٨١).

يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَيْكُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿ [سورة المائدة: ٨] «فأمر الله المؤمنين بالعدل على الكفار وإن كانوا يبغضونهم بغضة أمر الله بها ورسوله قال تعالى: ﴿وَأَنَّ حَكْمَتَ فَاحِكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [سورة المائدة: ٤٢]، وقال: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٩٠]»^(١).

وكذلك الظالم لا يجوز أن يُظلم، بل لا يعتدى عليه إلا بقدر ظلمه، كما قال تعالى: ﴿وَقَنَلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِئْتَةً وَيُكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ أَنهَوْا فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَالظَّالِمِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٩٣]، وقال: ﴿فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [سورة البقرة: ١٩٤] «ومعلوم أن الظلم الذي يستحق به العقوبة -سواء كان في حق الله أو حقوق عباده- لا يخرج عن ظلم في الدين، وظلم في الدنيا، وقد يجتمعان، فالأول كالكفر والبدع، والثاني كالاغتداء على النفوس والأموال والأعراض، والغالب أن الظلم في الدين يدعو إلى الظلم في الدنيا، وقد لا ينعكس... ثم مع هذا لا يجوز أن يعاقب هذا الظالم ولا هذا الظالم إلا بالعدل بالقسط، لا يجوز ظلمه»^(٢).

٢- أن الله تعالى أمرنا بالعدل مع من نبغضهم من الكفار، «فكيف في بغض مسلم بتأويل وشبهة أو بهوى نفس؟ فهو أحق أن لا يُظلم، بل يُعَدَّلَ عليه»^(٣).

٣- أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى من يجب العدل معهم في القول والعمل^(٤).

٤- «أن الله تعالى لم يأمرنا أن ندفع الأقوال الباطلة، من أقوال الكفار وغيرها، بالأقوال الباطلة؛ بل أمرنا أن نكون قوامين بالقسط، شهداء لله، وأن لا نقول على الله إلا الحق»^(٥)، واستدل بعدة أدلة منها: قوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ [سورة الأعراف: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ [سورة الأنعام: ١٥٢]، وقوله سبحانه: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَيْكُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [سورة المائدة: ٨]، وقوله تعالى: ﴿الَّذِي يُؤْخَذُ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [سورة الأعراف: ١٦٩]، وقوله سبحانه: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [سورة النساء: ١٧١].

(١) الصفدية (٢/٣٢٨).

(٢) جامع المسائل (٦/٣٩-٤٠).

(٣) منهاج السنة النبوية (٥/١٢٧).

(٤) انظر: منهاج السنة النبوية (٥/١٢٧).

(٥) بيان تلبيس الجهمية (١/٣٩٤).

٥- ضرورة النظر إلى عيوب النفس وقصورها، وألا يحمل التعصب المسلم على رؤية أخطاء المخالف كائناً من كان، والتغافل عن رؤية أخطاء النفس، قال ابن تيمية: «وكثير من هذه الطوائف يتعصب على غيره، ويرى القذاة في عين أخيه، ولا يرى الجذع المعترض في عينه، ويذكر من تناقض أقوال غيره، ومخالفتها للنصوص والمعقول، ما يكون له من الأقوال في ذلك الباب ما هو من جنس تلك الأقوال، أو أضعف منها، أو أقوى منها، والله تعالى يأمر بالعلم والعدل ويذم الجهل والظلم»^(١).

٦- أن عدم العدل مع الخصوم والمنازعين وترك عذرهم بالخطأ في الاجتهاد فيه محذوران: الأول: ظلم الإنسان لنفسه، والثاني: مخالفة منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع مخالفيهم، قال ابن تيمية: «ومن لم يعدل في خصومه ومنازعيه ويعذرهم بالخطأ في الاجتهاد، بل ابتدع بدعة وعادى من خالفه فيها أو كفره؛ فإنه هو ظلم نفسه، وأهل السنة والعلم والإيمان يعلمون الحق ويرحمون الخلق؛ يتبعون الرسول فلا يبتدعون، ومن اجتهد فأخطأ خطأً يعذره فيه الرسول عذروه»^(٢).

٧- أن من مقتضيات العدل وجوب قبول الحق من أي شخص كائناً من كان، ولو كان يهودياً أو نصرانياً، ومن باب أولى إن كان مخالفاً من أصحاب الفرق التي تنتسب للإسلام، ولا يُردُّ من كلام المخالفين إلا الكلام الباطل ويجب الاعتراف بما في كلامهم من الحق، قال ابن تيمية: «والله قد أمرنا ألا نقول عليه إلا الحق، وألا نقول عليه إلا بعلم، وأمرنا بالعدل والقسط، فلا يجوز لنا إذا قال يهودي أو نصراني -فضلاً عن الرافضي- قولاً فيه حق أن نتركه أو نرده كله، بل لا نرد إلا ما فيه من الباطل دون ما فيه من الحق»^(٣).

(١) درء تعارض العقل والنقل (٧/٤٦٣).

(٢) مجموع الفتاوى (١٦/٩٦).

(٣) منهاج السنة النبوية (٢/٣٤٢).

المبحث الثاني: تطبيقات ابن تيمية للعدل في العقائد

هذا المبحث يمثل الجانب التطبيقي العملي الذي طَبَّق فيه ابن تيمية قضية العدل في العقائد من خلال الممارسات العملية، ولهذا فلا يُتصور وجود الجانب التطبيقي إلا من خلال ممارسة العدل مع المخلوقين، وبعد التأمل في هذه التطبيقات يمكن تقسيمها إلى مطلبين:

المطلب الأول: التطبيقات العامة

وأعني به الأمثلة التطبيقية العامة للعدل عند ابن تيمية التي طبَّقها على أوصاف عامة أطلقها، كتطبيق العدل على بعض الفرق أو الأديان أو بعض تفاصيل أقوالهم، ومن ذلك ما يلي:

أ- بيان أن بعض المخالفين في العقائد في عموم أقوالهم أقرب إلى الحق من البعض الآخر، ولهذا عدة أمثلة: يرى ابن تيمية أن اليهود والنصارى - حتى بعد النسخ والتبديل - أقرب إلى الحق في الأمور الإلهية من الفلاسفة، قال ابن تيمية عن الفلاسفة: «وأما ما جاءت به الأنبياء فلا يعرفه هؤلاء البتة وليسوا قريبين منه، بل كفار اليهود والنصارى أعلم بالأمور الإلهية، ولست أعني بذلك ما اختص الأنبياء بعلمه من الوحي الذي لا ينال غيرهم فإن هذا ليس من علمهم ولا من علم غيرهم، وإنما أعني العلوم العقلية التي بينها الرسل للناس بالبراهين العقلية في أمر معرفة الرب وتوحيده ومعرفة أسمائه وصفاته وفي النبوات والمعاد، وما جاءوا به من مصالح الأعمال التي تورث السعادة في الآخرة، فإن كثيراً من ذلك قد بينه الرسل بالأدلة العقلية، فهذه العقلية الدينية الشرعية الإلهية هي التي لم يشموا رائحتها ولا في علومهم ما يدل عليها، وأما ما اختصت الرسل بمعرفته وأخبرت به من الغيب فذاك أمر أعظم من أن يُذكر في ترجيحه على الفلسفة، وإنما المقصود الكلام في العلوم العقلية التي تعلم بالأدلة العقلية، دع ما جاءت به الأنبياء فإنه مرتبة عالية»^(١)، لكن ابن تيمية قيّد هذا بأن لا يدخل اليهود والنصارى في الفلسفة، «فإن تفلسف اليهودي والنصراني كان كفره من جهتين»^(٢).

ب- أن دين اليهود والنصارى أقرب إلى دين الإسلام من دين المشركين الصابئين الذين يعبدون الكواكب والأصنام باتفاق المسلمين، ولهذا كان التفرق والاختلاف في الصابئين أكثر منه في اليهود والنصارى^(٣).

ج- ذهب ابن تيمية إلى أن طريقة أهل الكلام من المعتزلة والشيعة والكرامية والأشعرية ونحوهم أقرب إلى الإسلام والسنة والحق نقلاً وعقلاً من الفلاسفة، وإن كانوا ضالين فيما خالفوا به السنة^(١).

(١) الرد على المنطقيين (٣٩٤-٣٩٥)، وانظر: الرد على المنطقيين (٤٤٥)، والجواب الصحيح (٢٩١/٣)، وجامع الرسائل (١٦٩/١)، ودرء تعارض العقل والنقل (١١٢/٦) (٤١٥/٩) (٢٠٦/١٠)، والصفدية (٣٢٦/٢).

(٢) جامع الرسائل (١٦٩/١)، وانظر: درء تعارض العقل والنقل (٢٠٦/١٠).

(٣) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٦١-٦٣) (٤٧٧/٢) (٤٨٠/٢) والرد على الشاذلي في حزيه (١٤٦).

د- يرى ابن تيمية أن المعتزلة كانوا أبعد عن الحق من المجسمة، قال ابن تيمية: «فإن كل قول يكون أبعد عن الحق تكون حجج صاحبه أضعف من حجج من هو أقل خطأ منه، وقول المعتزلة لما كان أبعد عن الحق من قول المجسمة، كانت حجج أهل التعطيل أضعف من حجج أهل التحسيم»^(٢).

ه- ذهب ابن تيمية إلى أن المعتزلة أقرب إلى السنة من الشيعة، ولهذا كان الشيعة أعظم تفرقاً واختلافاً من المعتزلة، حتى قيل: إنهم يبلغون اثنتين وسبعين فرقة^(٣)، قال ابن تيمية: «والرافضة فيهم من هو متعبد متورع زاهد، لكن ليسوا في ذلك مثل غيرهم من أهل الأهواء، فالمعتزلة أعقل منهم وأعلم وأدين، والكذب والفجور فيهم أقل منه في الرافضة، والزيدية من الشيعة خير منهم: أقرب إلى الصدق والعدل والعلم، وليس في أهل الأهواء أصدق ولا أعبد من الخوارج، ومع هذا فأهل السنة يستعملون معهم العدل والإنصاف ولا يظلمونهم؛ فإن الظلم حرام مطلقاً كما تقدم، بل أهل السنة لكل طائفة من هؤلاء خير من بعضهم لبعض، بل هم للرافضة خير وأعدل من بعض الرافضة لبعض»^(٤).

و- ذهب ابن تيمية إلى أن معتزلة البصرة أقرب إلى السنة والإثبات من معتزلة بغداد، ولهذا كان البصريون يثبتون كون البارئ سميعاً بصيراً مع كونه حياً عليمًا قديراً، ويثبتون له الإرادة، ولا يوجبون الأصلح في الدنيا، ويثبتون خير الواحد والقياس، ولا يؤثمون المجتهدين، وغير ذلك^(٥).

ز- يرى ابن تيمية أن القدرية المجوسية أقرب إلى الكتاب والسنة والرسول والدين من كثير من المتكلمة والمتصوفة أهل الإباحة ونحوهم، لأن مذهب القدرية فيه تعظيم للأمر والنهي والثواب والعقاب، بخلاف أولئك الذين عطلوا وأنكروا الأمر والنهي، ولهذا لم يظهر هؤلاء ونحوهم في عصر الصحابة والتابعين لقرب عهدهم بالنبوة^(٦).

وهذا كله من باب تنزيل الناس منازلهم، والله يحب الكلام بعلم وعدل وإعطاء كل ذي حق حقه، فمن كان منهم أقرب إلى الحق والسنة عُرفت مرتبته ووجب تقديمه في ذلك الأمر على ما كان أبعد عن الحق والسنة منه^(٧).

٢- بيان أن بعض تفاصيل أقوال المخالفين أقرب إلى الحق من البعض الآخر، وإن كان كلا القولين باطلاً، ولهذا عدة أمثلة:

(١) انظر: الصفدية (١٥٥/١، ١٦٢) (٢٥١/٢)، ودره تعارض العقل والنقل (٦٣/٦) (٢١١/٦) (١٣٥/٨) (٢١١/٩)، ومجموع الفتاوى (٥٢٥/٦).

(٢) دره تعارض العقل والنقل (٣٤٨/٦).

(٣) انظر: دره تعارض العقل والنقل (١٥٧/١) (٥٩/٨).

(٤) منهاج السنة النبوية (١٥٧/٥).

(٥) انظر: دره تعارض العقل والنقل (١٥٧/١) (٣٢٩).

(٦) انظر: مجموع الفتاوى (٢٣٩/١٦).

(٧) انظر: مجموع الفتاوى (٢٠٥/١٢)، وبيان تلبيس الجهمية (٣١٦/٤).

أ- يرى ابن تيمية أن من أثبت رؤية الله عز وجل في الآخرة مع نفيه لعلو الله سبحانه أقرب إلى الحق ممن نفى الرؤية والعلو معاً، لأنه إن كان قول مثبتة الرؤية ومنكري العلو مكابرة للعقل، فقول من أثبت موجوداً قائماً بنفسه لا يُرى ولا يمكن أن يُرى أكثر مكابرة وبعداً من العقل^(١).

ب- ذهب ابن تيمية إلى أن قول المعتزلة: إن الصفات راجعة إلى الذات لا زائدة عليها أقرب إلى الحق من الأشاعرة^(٢).

ج- وصف ابن تيمية قول المعتزلة في الإيمان والإسلام بأنه أقرب إلى الحق من قول الجهمية من جهة الاسم في الدنيا، وأما من جهة الحكم في الآخرة فالجهمية أقرب إلى الحق^(٣).

د- وصف ابن تيمية القول: بأن الله تعالى ليس فوق العرش وليس بجسم بأنه أقرب إلى العقل من القول بأنه لا داخل العالم ولا خارجه، لأن القول بأن لا داخل العالم ولا خارجه تنفر منه الناس بفطرتهم، ويعرفون بطلانه ببداية عقولهم، وضرورات قلوبهم^(٤)، قال ابن تيمية: «فكان السلف يردون خير قوليهما وأقربهما إلى المعقول، وذلك مستلزم فساد القول الآخر بطريق الأولى»^(٥).

وبين ابن تيمية هذا الأمر فقال: «فهذه الطريق ونحوها من المناظرة العقلية إذا سُلِكَ يتبين به أن كل من كان إلى السنة أقرب كان قوله إلى العقل أقرب، وهو يوجب نصر الأقربين إلى السنة بالعقل»^(٦)، وهذا النصر هو من العدل والإنصاف للخصوم.

المطلب الثاني: التطبيقات الخاصة

وأعني به الأمثلة التطبيقية الخاصة للعدل عند ابن تيمية التي طبقها على أشخاص معينين بأسمائهم، ومن ذلك ما يلي:

أ- ذهب ابن تيمية إلى أن ابن سينا -مع فساد أقواله وتناقضها- كان أقرب إلى الحق من أرسطو، وأثنى عليه لمخالفة للفلاسفة في مسألة العلم وعدد هذه المخالفة من محاسنه وفوائده لأنه علم بعض الحق وعمل به^(٧)، قال ابن

(١) انظر: منهاج السنة النبوية (٢/٣٣٠).

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١٠/٢٥٢).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٧/١٥٨-١٥٩).

(٤) انظر: بيان تلبيس الجهمية (٢/٤٣٥) (٣/٧٧٠)، ودرء تعارض العقل والنقل (٦/١١٢) (٦/١٦٠-١٦١)، ومجموع الفتاوى

(٥/٢٨٥، ٣٦٨) ومنهاج السنة النبوية (٢/٣٣٦).

(٥) درء تعارض العقل والنقل (٦/١٥٤).

(٦) منهاج السنة النبوية (٢/٣٤١).

(٧) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١٠/١٤٠).

تيمية: «وأرسطو لم يكن يقسم الوجود إلى واجب وممكن، ولا يقول: إن الأول موجب بذاته للعالم، بل هذا قول ابن سينا وأمثاله، وهو - وإن كان أقرب إلى الحق مع فساده وتناقضه - فليس هو قول سلفه» (١).

ب- أنصف ابن تيمية أبا القاسم الأشعري الشافعي ووصفه بأنه كان ثقة في نقله، عالماً بفنه كالتاريخ ونحوه، وإن خالفه في عقيدته (٢).

ج- عدل ابن تيمية مع الغزالي ووصف كلامه في كتاب إحياء علوم الدين بأن غالبه جيداً وإن كان فيه مواد فاسدة (٣)، كما أثنى على كلام الفلاسفة في باب الطبيعيات وذكر أن غالبه جيد وإن كان فيه بعض الباطل (٤).

د- أنصف ابن تيمية ابن عربي الصوفي فذكر أنه يوجد في كلامه من الكلام الجيد كثير، وبيّن أنه أقرب إلى الإسلام من ابن سبعين ومن القونوي والتلمساني وأمثاله من أتباعه (٥).

هـ- عدل ابن تيمية مع أبي البركات -صاحب المعبر- وابن رشد الحفيد وأمثالهما وذكر أنهما أقرب إلى الإسلام من ابن سينا وأصحاب رسائل حيّ بن يقظان (٦)، وذكر أن في قولهما من الإثبات للصفات ما هو خير من قول جهم؛ فإن المشهور عنهم إثبات الأسماء (٧).

و- دافع ابن تيمية عن أبي الحسن الأشعري وذكر أن من قال إن قوله في الصفات هو قول جهم «فقد قال الباطل. ومن قال: إنه ليس فيه شيء من قول جهم فقد قال الباطل والله يحب الكلام بعلم وعدل وإعطاء كل ذي حق حقه وتنزيل الناس منازلهم، وقول جهم هو النفي المحض لصفات الله تعالى وهو حقيقة قول القرامطة الباطنية ومنحرفي المتفلسفة» (٨).

كما أنصفه فقال: «والأشعري أقرب إلى السلف من القاضي أبي بكر الباقلاني. والقاضي أبو بكر وأمثاله أقرب إلى السلف من أبي المعالي وأتباعه فإن هؤلاء نفوا الصفات: كالاستواء والوجه واليدين... وأما الأشعري نفسه وأئمة أصحابه فلم يختلف قولهم في إثبات الصفات الخيرية وفي الرد على من يتأولها كمن يقول: استوى بمعنى استولى، وهذا مذكور في كتبه كلها كالموجز الكبير والمقالات الصغيرة والكبيرة والإبانة وغير ذلك. وهكذا نقل سائر الناس عنه حتى المتأخرون كالرازي والآمدي ينقلون عنه إثبات الصفات الخيرية ولا يحكون عنه في ذلك قولين، فمن قال: إن الأشعري

(١) دره تعارض العقل والنقل (٦٥/٣).

(٢) انظر: الفتاوى الكبرى (٦٦٤/٦).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٥٥/٦).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (١٣٥/٩)، والرد على المنطقيين (١٤٣) وبيان تلبس الجهمية (٤٦٤/٢).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (١٣١/٢).

(٦) انظر: الرد على الشاذلي في حزيه (١٤٠).

(٧) انظر: مجموع الفتاوى (٢٠٥/١٢).

(٨) مجموع الفتاوى (٢٠٥/١٢).

كان ينفىها وأن له في تأويلها قولين: فقد افتى عليه؛ ولكن هذا فعل طائفة من متأخري أصحابه كأبي المعالي ونحوه؛ فإن هؤلاء أدخلوا في مذهبه أشياء من أصول المعتزلة»^(١).

بل إن ابن تيمية فضّله على بعض الحنابلة فقال: «وكان الأشعري أقرب إلى مذهب أحمد بن حنبل وأهل السنة من كثير من المتأخرين المنتسبين إلى أحمد الذين مالوا إلى بعض كلام المعتزلة، كابن عقيل، وصدقة بن الحسين، وابن الجوزي، وأمثالهم»^(٢).

ز- أنصف ابن تيمية ابن كلاب ووصفه بأنه أقرب إلى مذهب السلف وأكثر مخالفة لأقوال جهم^(٣). وهذه مجرد أمثلة قليلة من كلام كثير لابن تيمية في العدل والإنصاف مع الخصوم بأعيانهم، وقد وضع ابن تيمية قاعدة نصب عينيه هي أنه كلما كان الرجل إلى السلف والأئمة أقرب كان قوله أعلى وأفضل^(٤)، فكل «من كان أكثر صواباً وأقوم قيلاً كان أحق بأن يقدم على من هو دونه تنزيلاً وتفضيلاً»^(٥).

(١) مجموع الفتاوى (٢٠٣/١٢).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٢٧٠/١).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٢٠٢/١٢).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (١٠٣/٣).

(٥) شرح العقيدة الأصفهانية (١٠١).

الخاتمة

بعد استعراض موجز لمسألة العدل عند شيخ الإسلام ابن تيمية تبين يمكن استخلاص النتائج التالية:

- ١- أن مفهوم العدل عند ابن تيمية هو وضع كل شيء في موضعه، وأن أهم مظاهره عنده هي: عدم التفريق بين المتماثلين، وعدم التسوية بين المختلفين، وألا يُعاقب إلا من يستحق العقوبة.
 - ٢- أن مصطلح (العدل) له عدة مرادفات كالقسط والإنصاف وغيرهما، وأن (العدل) قد يرد في كتب العقائد بمفهوم آخر عند بعض الفرق كالمعتزلة.
 - ٣- أهمية العدل ومنزلته، خاصة في جانب العقائد لأنه أعظم من غيره، فلئن كان العدل مطلوباً ممن يحكم بين الناس في الأموال والدماء والأعراض؛ فطلبه أولى لمن يحكم في الملل والأديان وأصول الإيمان.
 - ٤- أن مما يدل على منزلة العدل اتصاف الله تعالى به، فله سبحانه الصفات العلى، وتنزهه عن ضده وهو الظلم، وهو عز وجل منزّه عن النقائص.
 - ٥- قرر ابن تيمية أن أصل العدل هو العدل في حق الله تعالى وهو توحيدهِ وعبادته وحده لا شريك له.
 - ٦- بيّن ابن تيمية أن الله أوجب العدل لكل أحد على كل أحد في كل حال، فقد أمر الله تعالى المؤمنين بالعدل على الكفار، فلا يحل ظلم أحد أصلاً سواء كان مسلماً أو كافراً أو كان ظالماً.
 - ٧- يرى ابن تيمية أن من مقتضيات العدل وجوب قبول الحق من أي شخص كائناً من كان، ولو كان يهودياً أو نصرانياً، ومن باب أولى إن كان مخالفاً من أصحاب الفرق التي تنتسب للإسلام، ولا يُردُّ إلا الكلام الباطل دون ما فيه من الحق.
 - ٨- إنصاف ابن تيمية لبعض المخالفين وذكره بعض محاسنهم والعدل معهم شاملاً في ذلك الأديان والفرق والمعتقدات والأشخاص.
 - ٩- من مظاهر العدل مع المخالفين عند ابن تيمية تحليله الدقيق لكلام المخالفين من المبتدعة، وبيان ما تضمنه كلامهم من الحق والمعاني الحسنة والصحيحة.
- وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

١. العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د.مهدي المخزومي، و د.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت.
٢. الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، ط٤، ١٩٩٠م، دار العلم للملايين، بيروت.
٣. معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، ١٤٢٠هـ، دار الجيل، بيروت.
٤. الفروق اللغوية، لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.
٥. جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د.عبدالله التركي، ط١، ١٤٢٢هـ، دار هجر، القاهرة.
٦. تأويلات أهل السنة، لأبي منصور الماتريدي، تحقيق: د.محمدي باسلوم، ط١، ١٤٢٦هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
٧. بهجة المجالس وأنس المجالس، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي، تحقيق: محمد الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٨. تفسير القرآن، لابن أبي حاتم الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا.
٩. تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، لأبي القاسم علي بن الحسن بن عساكر الشافعي، تحقيق: عمر بن غرامة العمري، ١٩٩٥م، دار الفكر، بيروت.
١٠. الواضح في أصول الفقه، لأبي الوفاء علي بن عقيل الحنبلي البغدادي، تحقيق: د.عبدالله التركي، ط١، ١٤٢٠هـ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
١١. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لعبدالحق بن غالب الأندلسي، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، ط١، ١٤١٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٢. جامع الرسائل، لأبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: د.محمد رشاد سالم، ط١، ١٤٢٢هـ، دار العطاء، الرياض.
١٣. جامع المسائل، لأبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد عزيز شمس، ط١، ١٤٢٢هـ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة.
١٤. الرد على المنطقيين، لأبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، دار المعرفة، بيروت.
١٥. الفتاوى الكبرى، لأبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا - مصطفى عبدالقادر عطا، ط١، ١٤٠٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٦. الاستقامة، لأبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: د.محمد رشاد سالم، ط ١، ١٤١١هـ، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.
١٧. التفسير البسيط، لأبي الحسن الواحدي، تحقيق مجموعة من الباحثين وأصله عدة رسائل دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ط ١، ١٤٣٠هـ، عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.
١٨. كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، لأبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
١٩. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ١٣٧٤م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٠. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لأبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: د.عبدالعزیز العسكر وآخرون، ط ٢، ١٤١٩هـ، دار العاصمة، الرياض.
٢١. منهاج السنة النبوية، لأبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: د.محمد رشاد سالم، ط ١، مؤسسة قرطبة، القاهرة.
٢٢. العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عبدالمهادي الحنبلي، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكاتب العربي، بيروت.
٢٣. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لأحمد بن علي العسقلاني، تحقيق: محمد عبدالمعيد خان، ١٣٩٢هـ، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد.
٢٤. الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي البزار، تحقيق: زهير الشاويش، ط ٣، ١٣٠٠هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.
٢٥. الجامع الصحيح المختصر، لمحمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: د.مصطفى ديب البغا، ١٤٠٧هـ، دار ابن كثير، بيروت.
٢٦. درء تعارض العقل والنقل، لأبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: د.محمد رشاد سالم، ط ٢، ١٤١١هـ، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.
٢٧. شرح العقيدة الأصفهانية، لأبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد رياض الأحمد، ط ١، ١٤٢٥هـ، المكتبة العصرية، بيروت.
٢٨. بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، لأبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: مجموعة من الباحثين، ط ١، ١٤٢٦هـ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة.
٢٩. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لشمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط ٣، ١٤١٦هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.
٣٠. الرد على الشاذلي في حزيه وما صنفه في آداب الطريق، لأبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، تحقيق:

د.علي العمران، ط ١، ١٤٢٩هـ، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة.

فهرس الموضوعات

٢	المقدمة
٢	أهمية البحث:
٢	أهداف البحث:
٣	خطة البحث:
٤	التمهيد
٤	أولاً: تعريف العدل لغة واصطلاحاً
٥	ثانياً: أهمية العدل ومنزلته
٧	ثالثاً: ترجمة موجزة لابن تيمية
٧	أ- اسمه، ونسبه، ونشأته:
٧	ب- طلبه للعلم، وشيوخه وتلاميذه:
٨	ج- مكانته العلمية:
٨	د- أبرز مؤلفاته:
٩	هـ- وفاته:
١٠	المبحث الأول: تقارير ابن تيمية للعدل في العقائد
١٠	المطلب الأول: العدل باعتباره صفة من صفات الله تعالى
١١	المطلب الثاني: العدل باعتباره حق الله على العباد
١٢	المطلب الثالث: العدل مع المخلوقين
١٥	المبحث الثاني: تطبيقات ابن تيمية للعدل في العقائد
١٥	المطلب الأول: التطبيقات العامة
١٧	المطلب الثاني: التطبيقات الخاصة
٢٠	الخاتمة
٢١	فهرس المصادر والمراجع

